الأستاذ/ عبد السلام صحراوي.

المقياس: الأدب العربي والاستشراق.

السنة الثالثة ليسانس – تطبيق رقم 02 .

التخصص: دراسات أدبية.

الفوج الأول.(01)

أسباب اهتمام الاستشراق بالأدب العربي

لقد كان اهتمام الاستشراق بالأدب العربي اهتمامًا كبيرًا ، بحيث لم يكدْ يترك شيئًا من ظواهره وموضوعاته المتنوّعة إلّا انشغل بها وأولاها اهتمامًا بالغًا ..إلّا أنَّ عناية الاستشراق بالأدب العربي واهتمامه به قد فاق كلّ عناية أخرى.. وذلك لأنَّ العقلية العربية قد وجدتْ في فنِّ القول أهمّ وسائل النجاح والتأثير ، وهو ما جعل اهتمام الاستشراق بدراسة آداب الأمة العربية أمرًا حتميا لفهم حياتها ونشاطها .. فالأدب العربي يقدم لنا من وجهة النظر الأدبية ومن وجهة النظر التاريخية حقلًا خصبًا لدراسة الحياة العربية في كلّ ميادينها و تفاصيلها ..لقد ترك العرب كمًّا مدهشًا من المواد المخطوطة لدراسة مختلف أوجه حياتهم وتطورها منذ القرن السادس الميلادي، وزهاء قرنين من الزمان قبل ذلك. بحيث يستطيع المرء أنْ يتصوّر مقدار الإنتاج الهائل من العلوم والآداب والفنون الذي أنتجته هذه الأمة العربية على مدى العصور المختلفة. بالإضافة إلى ذلك ، لا ننسى أنَّ اللغة العربية هي لغة الوحي الذي أنزله الله سبحانه وتعالى على نبيِّه محمد عليه الصلاة والسلام قرآنا عربيا يهدي للتي هي أقوم . فكانت اللغة العربية هي أداة التعبير عن هذا الوحي الرباني الذي جاء لينير الطريق أمام العقل البشري والناس كافة مقدمة إسهامًا كبيرا للحضارة الإنسانية.كما كانت اللغة العربية أيضًا لغة الأدب شعرًا ونثرًا، وأداة تعبير عمّا يدور في خُلد الأمة العربية من معاني إنسانية وقيم المجتمع العربي على مرّ عصوره.. غير أنَّ السؤال الذي ينبغي طرحه بوضوح هو: ما هي الأسباب التي جعلتْ الاستشراق يهتمّ بشكل خاص بالأدب العربي.؟

إنَّ المتتبع لهذا الموضوع ، يستطيع أنْ يُرجع هذا الاهتمام إلى جملة من الأسباب من أهمّها :

1- علاقة الأدب العربي بالإسلام وكتابه " القرآن الكريم".

2- أهمية الأدب العربي في دراسة الشخصية العربية وفهمها.

3- أثر الأدب العربي في الآداب المختلفة ومنها الآداب الأوروبية.

4- منزلة الأدب العربي ومكانته بين الآداب العالمية واستمرار تاريخه.

5- اهتمام النزعتين الرومانتيكية والإنسانية بالآداب الأخرى ومن بينها الأدب العربي.

ويمكننا أن نفصّل القول قليلا في هذه الأسباب على النحو الآتي:

1- لقد تجلّت صلة الأدب العربي بالإسلام وكتابه الكريم في نزول القرآن باللغة العربية، وقد ظلّت هذه العلاقة الوثيقة بين الأدب العربي ولغته من جهة وبين الكتاب المعجز من جهة أخرى منذ نزول الوحي وحتى يومنا هذا وستظلّ إلى الأبد. وهي ما يجعل الأدب العربي ينفرد بين الآداب الأخرى باتصاله المباشر بالقرآن الكريم الذي يحاول الباحثون في كلّ عصر أنْ ينفُذوا إلى أسرار جماله وجلاله. كما ينفرد الأدب العربي بأنَّه أدب الدين الذي يمثّل لغة كتابه منطلقًا معها إلى أرجاء الأرض جاعلًا إيّاها رباطًا بين مُعْتنقيه. وينفرد الأدب العربي أيضًا بكونه أدب التراث الهائل للأمة العربية التي كان لها تاريخها المجيد وتأثيرها الكبير شرقًا وغربًا.

2- أمّا مدى أهمية هذا الأدب في دراسة الشخصية العربية في أبعادها المختلفة، فتعود إلى صلة هذه الشخصية به وانعكاساتها فيه.. فهو ديوانها وتاريخها وفيه تنعكس عقليتها وانفتاحها العالمي والإنساني. وهو الذي بعثَ أوروبا من سباتها الذي دفعتها إليه علومها اللاهوتية العقيمة في القرون الوسطى.. والأدب العربي بالذات ، صورة لحياة العرب قديمًا وحديثًا، يتبلور فيه ما مرَّ بحياتهم من خصب وجدب وغنى وفقر وفرح وحزن ، حتى ليمكن القول بأنَّه يصور لنا بحقّ صورة صادقة للشخصية العربية بما يساعد على دراستها وفهمها على حقيقتها..

3- وفي ما يتعلق بأثر الأدب العربي في الآداب الأخرى وخاصة الآداب الأوروبية ، فالمعروف أنَّ الثقافة العربية قد عبرتْ إلى أوروبا عن طريق ثلاثة معابر ؛ الأول هو الأندلس وجامعاتها ، والثاني هو صيقلية وجنوب إيطاليا، والثالث هو الحروب الصليبية .. وقد أشار الدارسون الأوروبيون أنفسهم إلى التأثيرات العربية الخصبة في الآداب الأوروبية وراحوا يدرسونها ويشيدون بها منذ القرن الثامن عشر وإلى الآن..وقام بهذه المهمة عدد من المستشرقين والباحثين منهم: "خْوَانْ أندرِسنْ " وهو أول من سجَّل في القرن الثامن عشر فضل التأثيرات العربية في الآداب

الأوروبية .. و" خُوليَانْ رِيمِيرَا " أول من كشف أثر الموشحات والأزجال في الشعر الغربي عامة والشعر البروفنسي خاصة .. وكان " آثِينْ بَّلَاثيُوسْ " أول من أثار تأثر " دانتي إليغيري " في الكوميديا الإلهية بالمؤثرات الإسلامية والعربية المختلفة.. كما كان " جُونْثَالثْ بَالاثْيَا " أول من أكَّد أنَّ جميع قصص أوروبا في العصور الوسطى مأخوذة من أصول عربية . وكان " رَامُونْ بيدَالْ " أول من قرّر بأنَّهُ إذا وُجد في الأشعار الأوروبية في القرون الوسطى إجلال وتقديرٌ للمرأة فذلك يرجع إلى المؤثرات العربية وحدها ، فهي صاحبة الفضل الأول والأخير فيما ظهر من روح الشعر العذري في الآداب الغربية قاطبة ...إلخ.

4- في حين أنَّ منزلة الأدب العربي بين الآداب العالمية الأخرى، لا ينكرها أحدٌ من الدارسين والباحثين . وقد توطّدتْ تلك المنزلة بعد أن بسط العرب سلطانهم من حدود الصين إلى المحيط الأطلسي ، وذلك على مسافات شاسعة من الأمبراطوريات اليونانية والفارسية والرومانية ، وأخذ أدبهم ينازع تلك الآداب المعروفة .. وقد استطاع الأدب العربي أنْ يحتفظ بشخصيته المتميّزة وسط هذه الآداب العظيمة وخاصة وسط الأدب اليوناني والفارسي واللاتيني والهندي .. فمنزلة الأدب العربي التي يحتلّها بين الآداب الأخرى مكّنته من أنْ يكون موضع اهتمام الاستشراق والمستشرقين على اختلاف جنسياتهم..

5- أمَّا ما يتعلَّقُ باهتمام النزعتين الرومانتيكية والإنسانية بالآداب القومية الأخرى ، فهو من الأسباب التي جعلتْ الأدب العربي يثير اهتمام الأوساط الأوروبية ويحظى بالدراسة والبحث تأكيدًا لمبادئ هاتين النزعتين ، إذْ يُؤمن أصحاب هاتين النزعتين بعالمية مذهبهم ويرون في شعر وأدب كلّ أمةٍ مظاهر وتجليات للمبادئ والقيم الإنسانية عمومًا بحيث أنَّ في البداية والنهاية ، الحضارة الإنسانية هي حضارة الإنسان في كلّ مكان وأينما كان ومهما كان عرقه ولونه ولغته ومعتقده..